النصيحة وأسسها التربوية في الإسلام

د. بتبعور عبد القادر
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الاسلامية
جامعة وهران

تعتبر النصيحة أصل أصيل في الإسلام إن لم نقل الدين كله النصيحة، وهذا ما جاء واضحا في قوله ﷺ: «الدين النصيحة ثلاثا»[1]، ولهذا وصف الله هذه الأمة بالخيرية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]؛ لأنها تتخذ النصيحة والتوجيه محور حياتها، وحصنا منيعا لدينها وقيمها من الإخلال والتنازع والفرقة المفضية إلى العداوة والبغضاء، وربما إلى التهارج والاقتتال بين المسلمين.

ولذلك ذم سبحانه من لا يقبلها أو يتقاعد عنها، وإن كان هو في نفسه صالحا خيرا، وهذا ما جاء صريحا على لسان داوود وعيسى ابن مريم حينما أنكرا على بني إسرائيل عدم التزامهم بالنصيحة،كما حكى القرآن عنهما، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

غير أن النصيحة شاملة تتضمن أنواعا شتى من الخيرات كإصلاح الحال وإنكار المنكر وتقويم المعوج وإضمار الخير للمسلمين والسعي في ذلك؛ ومن ثم ولكي تبلغ بالطريقة الصحيحة [4]ويكون لها صدى طيبا وقبولا لدى الناس فلابد من أسس تربوية تبنى عليها والتي ينبغي على الناصح أن يعلمها، باعتبار أنها مقومات نجاحها والآليات المثلى للتعامل مع الناس؛ وأهمها: الإخلاص فيها، وأن النصيحة في الجماعة فضيحة، وأن تكون على بصيرة وبإقناع من تسدى إليه، وأن يكون الناصح قائما بها، وأن تكون بالتي هي أحسن. وفيما يلي بيان ذلك في المباحث الستة الآتية:

المبحث الأول: أن يكون باعث النصيحة الإخلاص:

الإخلاص في النصيحة واتخاذ أسبابها شرطان أساسيان لقبولها وحصول أجرها عند الله؛ وبالإخلال بأحدهما أوكلاهما تختل النصيحة وينقص أجرها وقد ترد على صاحبها. ولبيان ذلك نعقد المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الإخلاص أساس النصيحة ومحورها

إذا أراد الناصح أن تقبل نصيحته ويؤجر عليها من لدنه تعالى ينبغي عليه أن يجردها من الهوى والأغراض الشخصية والتطلع إلى حظوظ النفس، قاصدا بها وجهه سبحانه.

وقبل بيان أهمية ذلك وعلاقته بالنصيحة يحسن بي في هذا المقام أن أوضح معنى الإخلاص؛ فالإخلاص في اللغة: مأخوذ من خلص خلوصا وخلاصا: إذا صفا وزال عنه شوبه، وخلص الماء من الكدر: إذا صفا، وخلصته بالتثقيل: ميزته من غيره[5]، ونقول : ذهبٌ خالصٌ، أي خالٍ من الشوائبِ.

والإخلاص في الاصطلاح : يعني صدق العبد في عبادة الله سبحانه قولا كان ذلك التدين والتعبد أو اعتقادا وعملا. يقول سهل بن عبد الله التستري: «نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا»[6]؛ وذلك ما أمر به سبحانه وتعالى عباده وحثهم عليه بقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[7].

هذا وما دامت النصيحة أساسها الإخلاص ثم الإحسان بالناصح، ومد يد المساعدة والعون له، وتوجيهه إلى ما فيه الخير والصلاح فهي عبادة كالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات المطلوبة شرعا، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ سماها دينا قال: «الدين النصيحة»[8]؛ وهذا يقتضي من صاحبها أن يقصد بها وجه الله طالما وصفت بالدين، ولا يبتغي شهرة ولا جاها ولا رياء ولا أجرا، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[9].

وهذا هو ديدن جميع الأنبياء والرسل فكل واحد منهم كان يقول في دعوته: «وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله»[10].وقد أمر نبينا محمد ﷺ بذلك، قال سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[11]؛ لأن الأمر التعبدي إن لم يقصد صاحبه منه وجه الله وابتغاء الثواب خسر الدنيا والآخرة، فلا أجر ادخره لنفسه يوم القيامة، ولا جهد استفاد منه في حياته[12].

وقد جاء ذلك واضحا في الثلاثة الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وما اكتسبوه من علم من أجل سمعة زائفة وشهرة زائلة فما أغنى عنهم ذلك من الله شيئا. يقول الأول يوم القيامة: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء. فقد قيل. وقال الثاني: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال هو قارئ. فقد قيل. وقال الثالث: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل. ثم أمر بهم فسحبوا على وجوههم ثم ألقوا في النار[13].

انظر رحمك الله فإن كل ما أنفقه هؤلاء واستفاد منه الآخرون كان بالنسبة إليهم هباء منثورا بسبب غياب الإخلاص فيه، باعتبار أن الإخلاص في القول والعمل أساس القبول عند الله. ولذلك قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[14]؛ أي بقدر ما أخلصت في عملك يكون أجرك يوم القيامة ولا يظلم ربك أحدا.

المطلب الثاني: الأخذ بالأسباب وعدم التطلع إلى المسببات

إن قصد الإخلاص إلى الله في العبادة ومنها النصيحة أصل قائم في ذاته ومطلوب شرعا من كل مكلف كما بينا ذلك سابقا؛ أما قبول النصيحة من لدن المنصوح فليس من مهمة الناصح، فلا يشغل باله به، ولا يلتفت إليه، باعتبار أنه من اختصاصه تعالى حيث أمرنا بالعمل وحده وعليه المثوبة والحساب، قال عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[15] .

وهذا يدل على أن على المسلم أن يقدم الأسباب على وجهها كما أمره الله بمقوماتها وشروطها ولا شأن له بالمسببات لأن تحقيق المسببات على الله، ولذلك قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[16]، ومعناها: إما نرينك عذابهم وأنت بين أظهرهم أو نتوفينك قبل أن ترى ذلك فالمهم أن تبلغ ما أمرناك به. قال الطبري في هذه الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: وإما نرينك، يا محمد في حياتك بعضَ الذي نعدُ هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم، أو نتوفيَنَّكَ قبل أن نُرِيَك ذلك، فإنما عليك أن تنتهِيَ إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالتَه، لا طلبَ صلاحِهم ولا فسادِهم، وعلينا محاسبتهم، فمجازاتهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ»[17]. لسبب بسيط هو «أن المسببات راجعة إلى الحاكم المسبب، وإنها ليست من مقدور المكلف، فإذا لم تكن راجعة إليه فمراعاته ما هو راجع لكسبه هو اللازم وهو السبب، وما سواه غير لازم وهو المطلوب»[18].

ولهذا لما حزن رسول الله ﷺ على قومه لعدم قبولهم الدين الحق، والإعراض عنه. قال تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[19]؛ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[20]، وقال أيضا: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[21]: أي إنما مهمتك الرئيسة الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن كونها أدعى للاستجابة، قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[22]، وأما الهداية والإذعان إلى الحق والركون إليه فمن شأنه تعالى، قال سبحانه:﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[23].

المبحث الثاني:أن تتسم النصيحة بالتيسير واللين

الأصل في النصيحة أن ترصع وتزين بلطائف الأقوال وحسن الخطاب والمعاملة، غير أنه قد يجنح إلى التشدد والحدة في حالات معينة، ولبيان كيفية ذلك نورد المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: الكلمة الطيبة أساس كل دعوة ونصيحة

ينبغي على الإنسان في نصحه أن يكون سمحا رفيقًا فلا يسئ إلى المنصوح ولا يكثر عليه العتاب والملامة، وإنما يكتفي بالقليل من الكلام، وما حسن وطاب من الألفاظ، لأن الناس عادة لا يقبلون النصيحة التي يغلب عليها الشدة أو التنفير والتعسير، باعتبار أنهم بشر وليسوا أنبياء أو ملائكة معصومين بل يخطئون ويصيبون، والله أراد ذلك لحكمة اقتضاها كما جاء عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[24]؛ فالخطأ طبعهم وديدنهم في الحياة. وأن الناصح هو أيضا من البشر ومكتوب عليه الخطأ كما كتب على بني جنسه، فكما أن المنصوح وقع في الخطأ ولذا فهو في حاجة إلى من يأخذ بيده، فكذلك الناصح قد كان من قبل، وقد يخطأ في كل وقت وحين ولذلك قال تعالى وهو يذكر الدعاة: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[25]؛ ومن ثم فعليه أن يتجاوز عما يصدر من المنصوح ويتلطف به كما يحب هو أن يفعل به. يقول ابن القيم: «النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له، وعليه فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة»[26].

فالنصيحة على هذا كي يأخذ بها الناصح أو على الأقل يركن إليها وينظر في محتواها أن تتسم بأربع سمات: الكلام الطيب، الرفق، البشارة واليسر. فالأولى قد جاء في شأنها قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[27]، وقوله أيضا : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [28]، لأن الكلمة الطيبة لها وقع طيب على النفس وأثر حميد على قلبه، وهذا ما عبر عنه القرآن وضربه مثلا للناس بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[29]. وجاء في الثانية قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» [30]، وقوله أيضا: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[31]. وأما الثالثة والرابعة فقد ورد في شأنهما قوله ﷺ وهو يخاطب أبا موسى الأشعري ومعاذ حينما بعثهما إلى اليمن داعيين ناصحين لأهلها: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا»[32]. وهذا ما كان يوصي به أصحابه دوما بقوله: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»[33].

وكلنا يعرف فضل هذه السمات وأثرها في نفس الإنسان، ومدى انعكاسها إيجابا على الفرد والمجتمع من ذلك: ما صنعه أهل مكة حين فتحها حيث دخلوا في دين الله أفواجا بعدما عاملهم الرسول برفق ولين حيث قال لهم:«ما تقولون وما تظنون؟». قالوا: نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم- وقالوا: ذلك ثلاثا- فقال رسول الله ﷺ:«أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [34]». فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام[35]. وذلك بعدما قوبلوا بالعفو والصفح من لدنه ﷺ في الوقت الذي كانوا ينتظرون منه الويل والثبور.

المطلب الثاني: منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

والدعوة إلى اليسر وبالتي هي أحسن منهج الأنبياء ساروا عليه في تبليغ رسالاتهم،كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر حيث قدم له النصيحة بطريقة ملؤها الرأفة والرحمة والعطف، ولندع العبارة القرآنية تعبر عن نفسها، يقول إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب آباه وينصحه بالتخلي عن عبادة غير الله :﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي

أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[36]؛ وكلمة أبت لا تقال إلا في الشفقة والعطف بل هي أبلغ وأدق كلمة يفصح بها عن ذلك. يقول الزمخشري وهو يتكلم عن هذه الآيات: «انظر..كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، منتصحا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا، حدّث أبو هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ «أوحى اللّه إلى إبراهيم عليه السلام: إنك خليلي، حسن خلقك ولو مع الكفار، تدخل مداخل الأبرار»[37].

وحينما بعث الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون أمرهما أن يتلطفا في نصيحتهما له باستخدام الكلام اللين الهين، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾[38]. رغم أن الله يعلم أن فرعون لن يقبل النصيحة، ولن يتعظ بما يقولان له، وأنه لن لا يتخلى عن جحوده وعناده.[39]

وهذا ما سار عليه رسول الله ﷺ في حياته الدعوية حيث كان رءوفا بأمته رحيما بها، قال جل وعلا في شأنه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[40]. وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة »[41] فظل يدعو إلى الله بالتي هي أحسن ويعفو ويتجاوز عمن يسيئ ويخطئ . كيف لا وقد أمر بأن يتأسى بإخوانه الأنبياء والرسل الذين سبقوه في هذا المجال، حيث قال له تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[42] مبينا له أنه لو كان شديدا في دعوته، حادا في تعامله مع الناس لتخلى عنه الناس وولوا مدبرين، وهذا ما جاء واضحا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[43].

وقد أكد أنس ابن مالك هذه الحقيقة أي حقيق ة رفق الرسول ورأفته بالناس –حيث عاش في كنفه سنين وخدمه في ظعنه وإقامته– إذ قال: «خدمت النبيﷺ عشر سنين فما قال لي أف، ولا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت»[44]. وحكى مالك ابن الحويرث عن نفسه فقال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيما رفيقا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم»[45].

وتعامله هذا لم يقتصر على المسلمين بل شمل غيرهم من الناس بغض النظر عن دينهم ومكانتهم؛ من ذلك حينما ألقى اليهود على الرسول التحية ولووا بها ألسنتهم محرفين إياها إلى معنى آخر معنى الموت بقولهم: السام عليكم، ففهمت عائشة منهم ذلك، وردت عليهم بمثل ما قالوا: وعليكم السام واللعنة؛ فقال لها حبيب الله ﷺ: «مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله»[46].

المطلب الثالث: تختلف سبل النصيحة باختلاف أحوال الناس

مما لاشك فيه أن ديننا الحنيف دين وسطية واعتدال فلا يسر فيه بإطلاق ولا عزم بإطلاق؛ وهذا يعني أنه ينبغي أن يكون كل في موضعه، فموضع اللين ينبغي أن تعالج الإشكالات فيه بالرفق والحسنى، وفي موضع الشدة يحسن أن يتحقق الحزم في معالجة المشكلات، لأن من مقتضيات الحكمة أن نعالج الأشياء بما يناسب المقام، فهي تعني وضع كل شيء في موضعه ومحله.

وعليه فمن الخطأ أن نتخذ طريقة واحدة ثابتة نسير عليها في مخاطبة الناس، باعتبار أن منهم من يكفيه الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة؛ فمن ارتكب الخطأ الواحد أو الخطأين أو كان من ذوي الهيئات والمروآت ووقع في المعصية فالأحق في جنبه أن نقيل عثراته، ونتجاوز عما صدر منه؛ بالتغاضي أحيانا وبالعفو أحيانا أخرى، ومنهم من لا يفيد فيه إلا الإقناع والمجادلة بالتي هي أحسن[47].

ومن الحكمة أحيانا استخدام الغلظة والحدة فمن مرد على المعصية أو سكن النفاق في قلبه فالواجب في حقه مثل ذلك كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[48]؛ ففرعون خوطب لأول مرة باللين، لكن بعد أن تمادى في غيه وتجبر خاطبه موسى بالشدة والعنف، فقال له : ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[49]. ومن هذا القبيل أيضا ما حصل مع سمرة بن جندب حيث خاطبه النبي باللطف واللين، فلما استعصى وتأبى عامله بما يتماشى وحاله؛ حيث أنه كانت له عضد من نخل

في حائط رجل من الأنصار ومع الرجل أهله، فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فطلب إليه النبي ﷺ أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى. قال «فهبه له، ولك كذا وكذا». -أمرا رغبه فيه- فأبى، فقال ﷺ: «أنت مضار». وقال للأنصاري «اذهب فاقلع نخله»[50].

المبحث الثالث: أن تكون النصيحة على علم وبصيرة:

النصيحة ليست هواية أو كلأ مباحا يقدم عليه كل من هب ودب؛ بل هي أمانة ومسؤولية لا يتحملها إلا القادر عليها والعارف بمداخلها ومخارجها، وفي المطلبين الآتيين نبين حقيقة ذلك وأهميته:

المطلب الأول: خصائص النصيحة الحقة:

على الناصح أن يكون من أهل الذكر والاختصاص عليما بما يقوله ويقدمه من توجيهات وإرشادات للمنصوح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[51]. وهذا يقتضي منه أن يلتزم بما يلي:

أ-أن يختار الناصح الوقت المناسب لتقديم النصيحة:

لا نصيحة في وقت خطأ المنصوح أو زلته أو أثناء غضبه وتغير مزاجه وحدته، لأن ذلك يجعله يرفض النصيحة، وربما يزيده ذلك إصرارا على أخطائه والتمادي في غيه وضلاله، لأن الوقت غير مناسب بل المناسب في هذا الموضع إنقاذه وزحزحته عن الخطأ أو الزلة التي وقع فيها أولا، ولتأت النصيحة والموعظة الحسنة بعد ذلك. كما هو حال رجال الإطفاء عند وقوع حريق ما ليس مهمتهم أو عملهم البحث عمن فعل ذلك؛ إذ لا مقام للسؤال عن المتسبب فهذا ربما يشغلهم عن الهدف الرئيسي، بل واجبهم السعي إلى إخمادها والقضاء عليها قبل كل شيء.

وهذا ما لم يستوعبه كثير من الدعاة؛ فبدلا من أن يهدئ المنصوح ويستره أثناء وقوعه في الخطأ إلى حين إتاحة الفرصة المناسبة لإرشاده يذكره بمخالفته لما كان يقوله له وينصحه به من قبل، وأنه يفعل ما يحلو له، ولا يعبأ بالنصائح الموجهة إليه؛ فيشعر المنصوح وهو يسمع هذا الكلام أنه مارق أو ميئوس منه، وأن الناصح يشمت به. وهذا ربما ما أحس به هارون وخطر بباله حينما عاتبه أخوه موسى عليه السلام على ما صنعه مع قومه من بعده، وظن أنه خذله، ولم يأخذ بيدهم ولم يردهم إلى الحق والصواب قائلا له: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[52]، فكان جواب هارون: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾[53].

ومن ثم فعلى الناصح اختيار الوقت المناسب للمراد نصحه، والبحث عن كيفية إيصال النصيحة إليه، لأن ذلك يساعده على استقطاب المنصوح واستمالته إلى ما فيه الخير والصلاح. وهذا ما كان يصنعه النبي ﷺ مع أصحابه حيث كان يتخولهم بالموعظة في الأيام كراهة السآمة عليهم[54]؛ أي في الأيام التي يراها مناسبة للموعظة، والقلوب حاضرة والنفوس متشوفة لسماع توجيهاته ونصائحه. وهذا ما سار عليه ابن مسعود رضي الله عنه بعد ذلك حيث كان يتعهد الناس بالموعظة في اليوم الذي يراه مناسبا. روى أبو وائل قال كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»[55].قال الخطابي عن صنيع ابن مسعود هذا: «المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم، ولا يفعله كل يوم خشية الملل.»[56].

ب-أن يكون الناصح على علم بالمسائل التي تحتاج إلى توجيه وإرشاد مما لا تحتاج إلى ذلك

ما اتفق الفقهاء على حكمه واجبا كان أو حراما وأحل الناس به أو راموا خلافه فهذا لاشك داخل في باب الإنكار والتغيير من قبل من هو أهل لذلك، «وأما ما اختلف الفقهاء في حظره وإباحته فلا مدخل له في إنكاره إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه كربا النقد فالخلاف فيه ضعيف، وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه»[57]. فمثل هذا داخل أيضا في باب الإنكار لضعف الخلاف وقوة الذريعة.وما يؤكد ذلك قول سفيان الثوري : «إذا رأيت الرجل يعمل بعمل قد

اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه».[58] ولهذا قال الإمام ابن حنبل: «لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه»[59]؛ فلا يحق للناصح مثلا أن ينكر على من يتعامل ببيع العربون في تجارته مع الناس وإن كان يعتقد بحرمته، طالما هناك من الفقهاء من يبيحه ولا يرى فيه حرجا شرعا.

ج-مراعاة الأولويات عند النصيحة

على الناصح أن يركز في دعوته على الأهم والأشد أثرا في الواقع ثم الذي يليه في الأهمية سواء في حالة ازدحام المصالح أو المفاسد فيما بينها، أو أثناء تداخلهما وتشابكهما؛ بمعنى أن على الداعي أن يعتني بالفكر أولا إن كان فيه خلل أو الإيمان إن كان فيه دخن، ثم مظاهر ذلك من الفرائض والسنن، وهذا ما جاء واضحا في رواية ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[60].

ومن ثم فلا تنصح مثلا أحدا متهاونا في صلاته أو زكاته بأن يأتي بها كما أمره الله وهو متعلق أشد التعلق بأضرحة وقبور الأولياء والصالحين يدعوهم ويتقرب إليهم كتقربه إلى الله أو أشد. فحاول أن تصلح ما لحق بعقيدته من فساد وضلال، فإذا استوى الأمر عنده، فلك بعد ذلك أن تنصحه بالمحافظة على الصلوات أو إخراج الزكاة كما أمره الله. ولا تقبل على أحد مثلا تاركا لأوجب الواجبات كالصلاة والصيام والحج وتحدثه عن إعفاء اللحية أو عن حرمة سماع الغناء. أو تحدثه عن فعل السنن والمستحبات وهو عاص لوالديه أو مسيئا لجيرانه، فالحكمة تقتضي الابتداء بما هو أعظم عند الله وأحسن، ثم الأولى فالأولى وفق ما هو قائم شرعا.

وقد يتغاضى الناصح عن المنكر إذا أحس أنه سيفضي إلى منكر مساو له أو أشد منه؛ بل ينبغي أن يتجاوز ذلك في حالة اعتقاده يقينا أو قريبا من ذلك أنه كذلك. فهناك أمثلة كثيرة من السنة النبوية رأى فيها العلماء قاعدة راسخة لهذا الأمر، من ذلك عدم إعادته ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفا من ارتداد قومه، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله لعائشة رضي الله عنها: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»[61] ؛ وعدم قتله للمنافقين خوفا من أن يقول الناس: «أن محمدا يقتل أصحابه»[62]. فالنبي ﷺ ما تخلى عن ذلك إلا خشية أن يجلب مفسدة أكبر وضررا أعظم مما أراد تصليحه أو تغييره.

كل هذا وغيره يوحي للناظر فيه أنه إذا ظن الداعية أن نهيه عن المنكر يؤدي إلى منكر أكبر منه وجب عليه تخليه عن إزالته وتغييره.

د-أن لا ينصح الناس بأمر واحد بل يحاول أن يسبر نفسية المنصوحين ويتغلغل في أعماقهم ويرشد كل واحد بما يناسب حاله ومقامه. وهذا ما كان يصنعه النبي مع الناس: من ذلك اختلاف أجوبته ﷺ حين سئل في مناسبات عديدة عن أفضل الأعمال. فعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله»[63]. وسئل عليه الصلاة و السلام في موضع آخر : أي العمل أفضل؟ قال: « الصلاة لوقتها»[64].وعن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها - أنها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[65].

فأنت كما ترى أن النبي حينما استفتاه الأول عن أفضل الأعمال أشار إليه بكذا، ثم الثاني بمهام أخرى، والثالث بأمر آخر مغاير، وهذا لا يعني أن النص نسخ بالنسبة لهذا أو ذاك أو رفع نهائيا، وإنما أجاب كل واحد بما يليق بحاله و مقامه. يقول في ذلك الشاطبي: «إن جميعها يدل على أن التفضيل ليس بمطلق، ويشعر إشعارا ظاهرا بأن القصد إنما هو بالنسبة إلى الوقت أو إلى حال السائل»[66].

فكل ذلك إذن مراعاة لأحوال الناس وظروفهم، وتماشيا ومصالحهم المتغيرة؛ لأن الفتوى ما هي إلا انتقال من حكم إلى آخر بناء على ما يقتضيه العدل والمصلحة.

المطلب الثاني: آثار النصيحة بلا علم:

إن النصيحة أمانة في عنق كل مخلص لأمته، فعليه أن يؤديها كما أمره الله وشرع، وقبل ذلك فهي دين كما ذكرنا ذلك سابقا يتدين بها المسلم كباقي الشرائع الأخرى من صلاة وزكاة؛ وعلى هذا فهي ليست مختصة بجهة أو فئة معينة بل منوطة بكل مسلم، ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [67]، غير أن الآية كما هي واضحة بينت كيف يكون حال الداعي أو الناصح –وهو يذكر غيره ويقوم بما هو واجب عليه–، وهو أن يكون حكيما متبصرا بواقع الناس وظروفهم، محاولا أن يكيف ذلك وفق ما تقتضيه أحكام الشريعة ومقاصدها العامة، كون إنزال الأحكام إنزالا آليا من شأنه أن يجلب المضار والمفاسد أكثر مما ينفع ويصلح؛ كحاطب ليل قد يلتقط خشبة كما قد يلتقط حية لعدم وجود نور يستنير به، فكذلك الناصح بلا علم قد يصيب في دعوته وقد يخطئ خطأ شنيعا، وإن كان لا يقصد من وراء ذلك إلا الخير، غير أن ذلك لا يكفي ما لم يكن مقرونا بموافقة الصواب.

ومن الأخطاء الشنيعة التي ترتبت على النصح بلا بصيرة: ما جرى لذلك الصحابي الذي أصبح جنبا ، وكان قد شق رأسه في إحدى السرايا، حيث نصحه من كان معه من المسلمين أن يغتسل دون مراعاة لحاله، فلما اغتسل أصاب الماء ذلك الجرح فمات من حينه، فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ غضب لذلك أشد الغضب، وقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي[68] السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»[69]. فهؤلاء الذين أمروه بالحكم العام الدال على الاغتسال، لو التفتوا إلى حاله وراعوا مرضه لاستثنوه من هذا الحكم، وأفتوه بالتيمم كما نبههم النبي ﷺ إلى ذلك نظرا لحاله الخاص.

فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه من لم يكن أهلا للدعوة أو جاهلا بأحكامها ومقتضياتها فليس له أن ينبري لها أو يقحم نفسه في مجالها، لأن الجاهل لا يعلم حقيقة كثير من الأمور؛ كيف لا والرسول ﷺ يقول في شأن الحلال والحرام أن بينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس[70] لخفاء مسائلها والتباسها بغيرها. لاسيما وأن الله ذم الذين يقولون في دينه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[71]؛ بل حرم ذلك صراحة بقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[72].

المبحث الرابع: أن يعتمد في النصيحة على المناقشة والإقناع:

من الأسس المهمة للنصيحة مجادلة المنصوح ومحاولة إقناعه بشتى الحوارات الممكنة، وذلك حسب حال كل منصوح. وفيما يلي توضيح ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: اعتماد الحوار في كل نصيحة:

إذا أراد المسلم أن تقبل نصيحته ويرضى بها المنصوح يجب عليه أن يكون مستعدا لأي جدال أو نقاش يصدر من المنصوح، بل يسعى إلى ذلك وبالتي هي أحسن قدر ما يستطيع «بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق...والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة. ويشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة»[73]. فحينئذ يركن إلى الناصح ويستمع لما يقول، وقد يطمئن قلبه، وينشرح صدره، ومن ثم يقتنع بما وجه إليه، وتحصل الثمرة المرجوة من هذه النصيحة..

ذلك أنه من الناس من لا ينفعه إلا الحوار والمناقشة بالتي هي أحسن فيفترض في مثله الإقناع بالأدلة والبراهين، كما أن منهم من يكفيه مراعاة حاله والتعامل معه بالحسنى فيتعظ لذلك ويعود إلى رشده، ومنهم من يحسن في حقه المواعظ وضرب الأمثال والاعتبار بسنن الماضين، فيذكر بقصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم وما جرى لهم نتيجة عصيانهم لأنبيائهم؛ وقد جاء هذا التقسيم واضحا في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[74]، فالحكمة إشارة إلى الطريقة المثلى من حيث اختيار الوقت المناسب، وترتيب الأولويات، ومعرفة ما يحتاج إلى تغيير وإصلاح.كمابينا سابقا، والموعظة الحسنة إشارة إلى ضرورة التعامل مع المنصوح بلطف ولين، واستعمال العبارات الرقيقة العذبة التي تستميل القلوب، وتدخل إليها من غير استئذان،كما هي إشارة إلى الاعتبار بما سلف من الأقوام والأمم الغابرة، والمجادلة بالتي هي أحسن إشارة إلى ضرورة استخدام أسلوب الحوار والإقناع لمن لا يصلح في حقه إلا ذلك، وهكذا تستخدم الوسيلة أو الأسلوب المناسب لكل حالة.

ونكتفي في هذا المقام بالتطرق إلى الأمر الثالث باعتبار أن الأمر الأول والثاني قد تطرقت إليهما في المبحثين السابقين.

المطلب الثاني: تنوع الحوار ومقتضيات ذلك:

إن الناس يختلفون في إدراك المسائل وفهمها واستيعابها؛ فمنهم من يكفيه مجادلته بالأدلة الشرعية، كما حصل مع عمر عمررضي الله عنه حينما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمررضي الله عنه : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر»[75]. فبمجرد أن سمع عمر النص الشرعي الدال على أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[76] تراجع عن تقديم حب نفسه على حب الرسول، واستسلم للأمر راضيا به مطمئنا قلبه من غير حرج، كيف لا وقد كان عمررضي الله عنه وقافا عند كتاب الله، ولهذا خاطبه النبيصلى الله عليه وسلم بما هو أهل له.

ومنهم من لا يصلح في حقه إلا ضرب الأمثال والاعتبار بقصص الماضين، من ذلك قول أبو العالية:«كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزل قول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾[77]، فخافوا الكبائر بعده أن تحبط الأعمال»[78]. وروى الحسن قال بينما أبو هريرة عمر رضي الله عنه يحدث الناس إذ جاء شاب حتى قام عليه بين ثوبين له فقال: ما تقول في سبل إزارى أو في جر إزارى، قال: سمعت خليلي الصادق المصدوق أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: «كان فيمن قبلكم رجل متبختر في برديه أو بين ثوبيه إذ خسف الله به الأرض، فو الذي نفسي بيده ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[79].

ومنهم من يحتاج إلى أدلة عقلية منطقية ولاسيما الشباب، كحال ذلك الشاب الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ائذن لي في الزنا فأقبل القوم عليه فزجروه. فقال: «ادنه». فدنا منه قريبا. فجلس. قال «أتحبه لأمك؟».قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟». قال لا والله جعلني الله فداك. قال: « ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال «أفتحبه لعمتك». قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟». قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[80]. فالنبي لم يذكره بحرمة الزنا لعلمه بذلك، بدليل أنه قال له: ائذن لي في الزنا، وإنما حاول أن يقنعه بأنه لو كان فيه خير ومصلحة لرضيه لمحارمه اللائي ذكره بهن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما لم يرضه لهن دل ذلك على فسادها وضررها.

وتتأكد أهمية الحوار المبني على العقل والمنطق عند وقوع البعض في الشبهات، وهذا ما جرى لابن عباس حينما حاور الخوارج بعد أن غشيت الشبهات قلوبهم وأسرت عقولهم. فحاججهم بأدلة نقلية وعقلية؛ منها قوله حينما سألوه لماذا قاتل عليا عمررضي الله عنه ولم يسب ولم يغنم، قال: أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي

أمكم. وحينما سألوه لماذا محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين؟ فرد عليهم بما حدث لرسول الله ﷺ يوم الحديبية مع مشركي قريش حيث أمر بكتب محمد بدلا من رسول الله حينما أبى المشركون ذلك، فرجع بسبب هذه المحاجاة العقلية والنقلية من القوم ألفان، وقتل سائرهم على ضلالة.[81]

وقد تستخدم بالإضافة إلى الأدلة العقلية والنقلية أدلة عاطفية، وهذا مع من يظن فيه ميله وتعلقه بذلك؛ إذ بمجرد تذكيره بمقامه وما يستميله ويرضيه يعود المنصوح إلى رشده، ويسهل الأخذ بيده. من ذلك فعله ﷺ مع الأنصار حينما أعطى للمهاجرين من الغنائم دونهم، فغضبت الأنصار فقال لهم النبي ﷺ: «أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله؟» قالوا: بلى. قال: «لو سلك الناس واديا، أو شعبا لسلكت وادي الأنصار، أو شعبهم»[82]؛ فرضي القوم واقتنعوا بما سمعوه منه ﷺ.

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها يتبين لنا أن مجادلة من يراد نصحه ومناقشته تختلف باختلاف أحوالهم وطبائعهم، مما يستدعي من الناصح أن يتوسم في مقام النصيحة ما يصلح لكل حالة، ولهذا قيل: لكل مقام مقال. وعدم مراعاة ذلك وإيجاد الوسيلة المناسبة لكل حالة قد يوقع الناصح في حرج واضطراب، فتفشل مهمته ويعتقد المنصوح أنه على حق وصواب.

المبحث الخامس: أن يكون الناصح أسوة حسنة لغيره:

المسلم الناصح يقدم أفعاله وأعماله قبل أقواله وإرشاداته فبذلك يسمع لكلامه ويأخذ به، وإلا تولى عنه الناس وذم شرعا وعرفا؛ ولبيان هذه الحقيقة نعقد المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: النصيحة المجدية من مقتضيات العلم والعمل

إذا أراد الناصح أن يؤخذ بكلامه ويكون له أثر في النفوس عليه أن يلتزم بما يقوله ويرشد به الناس، وأن يكون أسوة حسنة لغيره؛ فيبدأ بنفسه فيأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر، وذلك لاعتبارات مختلفة منها:

*أنها أقرب شيء إليه والأحق بأن يوليها بالنصح حفظا لها؛ إذ لا يليق به أن يلوم أو ينصح غيره وهو يفعل غير ذلك لقول الشاعر:

ابدَأْ بنَفْسِكَ فانْهَهَا عن غَيِّها ... فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ
فهناك تُعذَرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى ... بالقول منك ويُقْبَلُ التعليمُ[83]

*إن المصلح لنفسه إذا قال ووعظ غيره يسمع لقوله ويكون تأثيره في الناس أقوى وأبلغ؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده. يحكى عن عبد الله بن هارون أنه لما شاع الفساد في عامة رعيته شاور نصحاءه، فقال بعضهم: الرأي أن تجمع قوماً فتصلبهم، وقال آخرون: بل تعمر بهم السجون. واختلفوا في القول، فقال: «ليس الرأي شيئاً مما قلتم، ولكن الرأي أن أبدأ فأصلح نفسي، فإذا صلحت نفسي صلحت باطني، وإذا صلحت باطني دب الصلاح، و تفشى في رعيتي». قالوا: وفقك الله. وعمل بذلك الرأي فرأى الخير عليه[84] .وكان الأحنفُ بنُ قيسٍ أشدَّ الناس سلطاناً على نفسه، وكان الحسن أتْرَكَ النَّاسِ لما نُهِيَ عنه[85] وكان يقول: «إذا كنت ممن يأمر بالمعروف، فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت»[86].

إذ لا يليق بمقام الناصح أن يخالف قوله فعله؛ فهذا خلل في الشخصية وانخرام لمروءته، وما تقتضيه القيم العليا ومبادئ الدين بل والإخلال بالإصلاح نفسه إن كان يريد الناصح الإصلاح، وهذا ما قاله شعيب لقومه كما حكى القرآن عنه ذلك قال تعالى : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[87]؛ أي لا ينبغي لي أن أنصحكم بترك النقص في المكيال والميزان ثم أفعله بعد ذلك، فهذا إفساد وليس بإصلاح لا يليق بمقامه ولا بمقام غيره من الأنبياء؛ كيف لا ولقد قال تعالى في شأنهم مخاطبا النبي ﷺ: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[88]؛ أي بسيرتهم وطريقتهم الحسنى والمثلى في الحياة وتعاملهم مع الناس اتبع وتأسى؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم كانوا أسوة حسنة للناس، فبهم يقتدون، وعلى منهاجهم يسيرون،كما يدل

أيضا على أن من يفعل عكس ما ينهى عنه يكون مخالفا لهديه م وإن ادعى إتباعه لهم، كما يدل على أن العبرة بما يقوم به الإنسان من عمل، وليس بما يقوله لهم وإن كان حسنا.

*إن القول الحسن الطيب الحقيقي عند الله الذي يصاحبه العمل ويوافقه، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[89]؛ قال الطبري وهو بصدد شرح هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك»[90]. وإذا كذبه العمل انطبق عليه قوله عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة حينما أخبره أن رجلا قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ عقب ذلك: «صدقك وهو كذوب ذاك شيطان»[91]. وهذا من صفات المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون. روي عن قتادة أنه قال: «إن المنافق عبد خالف قوله عمله، وموجله مخرجه، وسرّه علانيته، وشاهده مغيبه» [92].

وهذا يعني أن القول الحسن لا يغني من الحق شيئا ما لم يصاحبه العمل ومدى أخذ صاحبه بما قال، باعتبار أن القول إذا صدقه العمل رفعه الله إليه بعمله الصالح هذا، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[93]. روي عن مجاهد قوله في هذه الآية: «العمل الصالح يرفع الكلام الطيب»[94]؛ وهذا معناه أن القول المحمود عند الله المقبول لديه ما جرى العمل على وفقه حيث كان أداة لرفعه إلى السماء، وفي هذا المعنى يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يقبل الله قولا إلا بعمل، ولا يقبل قولا وعملا إلا بنية»[95]، وجاء عن الحسن وقتادة أنهما قالا: «لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه»[96].

المطلب الثاني: النصيحة بلا عمل ذم ومعرة

من الطرق الحسنة في تبليغ النصيحة إلى الغير إذن السيرة الطيبة للناصح وأفعاله الحميدة وإتباعه للشريعة سرا وعلانية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، ثم يحاول بعد ذلك أن ينصح إخوانه، وإلا ذم شرعا وانطبق عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[97]؛ فقد خاطب تعالى من اتبع هذا الدين بالإيمان، باعتبار أن من مقتضياته أن لا يقول المؤمن ما لا يفعل، وإلا دخل في زمرة المنافقين،فهم الذين يقولون ما لا يفعلون، وينصحون الناس بما لا يأتون. والدليل على ذلك أن الآية ما نزلت إلا ردا على مثل هؤلاء، قال عامة المفسرين: «أنزلت توبيخا من الله لقوم من المؤمنين، تمنوا معرفة أفضل الأعمال. فعرفهم الله إياه، فلما عرفوا قصروا، فعوتبوا بهذه الآية»[98]، ثم ذيل الله تعالى هذه الآية ببيان تبعية ذلك، وهو أن من يفعله مبغض أشد البغض عند الله، قال تعالى:﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[99]،يقول مالك ابن دينار: «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه تزل موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفاء»[100].

ويكفي رادعا في هذا الباب قول النبي ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[101].

وقوله ﷺ أيضا: مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: «خطباء أمتك من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»[102].

والسبب في ذلك أنهم خالفوا ربهم عن علم وعمد فضلوا وأضلوا جبلا كثيرا، باعتبار أنهم محل اقتداء للناس، ففتحوا لهم باب الجرأة على معصيته والتفلت من أحكامه وحدوده التي رسمها لعباده، فتحملوا بهذا أوزارهم وأوزار من اتبعهم في ذلك، كيف لا والنبي ﷺ يقول: «من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[103].

ومن هنا نجد السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة من أشد الناس حرصا على تحقيق القدوة الحسنة في حياتهم. روى ابن أبي شيبة عن سالم قال كان عمر عمررضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء جمع أهل بيته ، فقال: «إني نهيت الناس كذا وكذا، وإن الناس لينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأيم الله لا أجد أحداً منكم فعله إلا أضعفت له العقوبة ضعفين»[104].

هكذا تحيا قلوب أهل الإيمان والعلم والدعوة ، وفي الأثر: «إذا أمرت بمعروف فكن من آخذ الناس به، وإذا نهيت عن منكر فكن من أترك الناس له وإلا هلكت»[105].

المبحث السادس: أن لا تكون النصيحة في ملأ من الناس:

يتضمن هذا المبحث مطلبين اثنين وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: التزام النبي وصحابته الكرام بسرية النصيحة

يحسن بالمسلم إذا أراد أن ينصح آخاه ويرشده إلى الخير أن يكون ذلك بينه وبينه، وأن لا يذكر عيوبه وأفعاله على الملأ؛ إذ لا حاجة للناصح في إظهارها للناس، طالما هو يريد له الخير؛ بل العكس من ذلك المطلوب سترها وتغييبها ما أمكن إلى ذلك سبيلا، ساعيا بالقول والعمل إلى إصلاح حاله واستقامة أمره، وتنبيهه إلى مفاسده ومساوئه في ستر وبصدق وأمانة .

وما يدل على ذلك كلمة النصيحة نفسها فهي بمعنى أن تخلص للمنصوح في نصيحتك وتصدق معه ولا تغشه، قال صاحب اللسان: «هي من نصح الشيء بمعنى خلص....وكل شيء خلص فقد نصح....والنصح نقيض الغش... ويقال نصحت له نصيحتي نصوحا أي أخلصت وصدقت»[106].

ومن مقتضيات الصدق أن تجمع بين إخفاء عيوب المنصوح ومعاصيه، وبين الأخذ بيده إلى ما فيه الحق وإلى الطريق المستقيم.يقول الغزالي: «تنبهه على عيوبه، وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد....وما كان في السر فهو شفقة و نصيحة»[107]،كون ذلك أدعى لقبول النصيحة والأخذ بها،كما أنه نصر وإعانة له على الخير.

ولكي لا يحس المنصوح بالذنب والوحشة يحاول القائم بالنصيحة التخفيف عليه بالقول: أنه مهما كان الإنسان لا يسلم من الخطأ إلا من عصمه الله من الأنبياء والرسل، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «كل بن آدم خطاء فخير الخطائين التوابون»[108]، ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه.

هذا هو الأَصل في النصيحة والدعوة إلى الله لمن أراد أن يتبارى لها، وقد كان رسول الله يفعل ذلك مع الناس فرادى وجماعات لاسيما مع مستوري الحال، والذين لم يعرف عنهم المجاهرة بالسوء والمنكر، وإذا اضطر المسلم إلى نصح أخيه في ملأ من الناسخوفا من فوات مصلحة أو ضياع الحق يستعمل الأسلوب غير المباشر في إسداء النصيحة كقوله: ما بال أقوام، ما بال أناس، إلخ. وكثيرا ما كان النبي ﷺ يفعل ذلك، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم»[109]. وقوله أيضا: «ما بال أناس يشترطون شروطا ليست في كتاب الله»[110]، وقوله كذلك: «ما بال رجال يواصلون إنكم لستم مثلى»[111]، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما بال أقوام يلعبون بحدود الله»[112].

ولقد انتهج الصحابة منهجه هذا في حياتهم الدعوية، فكثيرا ما كان يقول الواحد منهم:ما بال أقوام، أو ما بال رجال يفعلون كذا وكذا....فعن عمر ابن الخطاب عمررضي الله عنه أنه قال: «ما بال رجال ينكحون هذه المتعة، وقد نهى رسول الله ﷺ عنها»[113]، وقال في موضع آخر: «ما بال رجال يطئون ولائدهم ثم يدعوهن يخرجن»[114]. وروي عن معاوية أنه قال: «ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث .. لم نسمعها منه»[115].

المطلب الثاني: النصيحة بين السر والعلن:

ولسرية النصيحة أهمية كبيرة وأثر بالغ على المنصوح، ويتجلى ذلك في النقطتين الآتيتين:

أ–لماذا النصيحة سرا؟

إن السر ستر والستر يحبه الله ويثني عليه، وأن من أسمائه الحسنى الستار، قال ابن عباس: «إن الله ستير يحب الستر»[116]، فهو مطلوب ومرغوب في كل وقت وحين. حتى أن ربنا يوم القيامة يذكر عبده بما فعل من ذنوب منفردا به ساترا إياه من الناس، فعن ابن عمر عمررضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟، فيقول: نعم أي رب.... قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[117].

ولذلك كان النبي ﷺ يحث الناس على الستر قال: «أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يبدى لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»[118]. وحينما زنى ماعز ابن مالك بجارية لهزال ونصحه هزال بإخبار النبيﷺ قال له عليه الصلاة والسلام: «ويلك يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيرا لك.»[119]
ولما أتي عمر بامرأة قد زنت قال عمررضي الله عنه: «إنما جعل الله أربعة شهداء سترا يستركم دون فواحشكم، فلا يتطلعن ستر الله أحد، ألا وإن الله لو شاء لجعله واحدا صادقا أو كاذبا»[120]. وقيل لعقبة بن عامر: إن لنا جيرانا يشربون الخمر ويفعلون ويفعلون، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺيقول:«من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها»[121].

ب– مساوئ علنية النصيحة:

إذا أراد الناصح أن ينصح آخاه ويرشده إلى الخير عليه أن يكون أمينا في نصحه حريصا على هدايته؛ فلا يخدعه ولا يمس مشاعره بسوء، لأ ن المسلم لا يظلم آخاه المسلم ولا يخذله، ويحب له ما يحب لنفسه، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[122]. ومما يحبه المرء لنفسه ولا يرضى بديلا عنه من قبل أحد من الناس مهما تكن منزلته الاجتماعية والعلمية أن لا ينصح في ملأ من الناس، لأن النفس بطبعها تنفر ممن ينصحها جهارا وعلانية؛ كون النصيحة في الملأ توبيخ وتقريع، وقد قيل: النصيحة في الملأ فضيحة، وقال الشافعي: «من وعظ آخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[123].

كما أن الجهر بالنصيحة هتك وتعيير، قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمر بالمعروف: «اجتهد أن تستر العصاة، فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب»[124]، باعتبار أن ذلك حط من شأن المنصوح ومكانته بين الناس، وكذا خدش لكرامته واتهامه بالنقص، مما ينزع عنه الهبة واحترام الناس له، بل ذلك يعد غيبة وإشاعة لأخطاء الناس وعيوبهم، والله تعالى نهى عن ذلك وحذر منه أشد تحذير فقال: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾[125]، وقال أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[126]، مما قد يؤدي إلى نتائج عكسية لا تحمد عقباها، من ذلك أن علنية النصيحة قد تجرؤ المنصوح على الذنوب والمعاصي أكثر فأكثر، كما أنها مدعاة للعداوة والبغضاء، والنبي يقول: «ولا تباغضوا وكونوا إخوانا»[127]، الشيء الذي قد يفضي إلى اله رج والفتنة كما جرى مع عثمان حيث تكلم الناس فيه، ثم شاع ذلك في الأمصار، وكان ذلك سببا لقتله .

الخاتمة:

وما ننتهي إليه من هذا كله هو أن النصيحة مفتاح لكل خير ومغلاق لكل شر؛ طالما أنها تقضي على الفساد والمنكر في مهده، وتمنعه من الفشو والانتشار إذا أخذ بها في حينها، وعمل بمضمونها ومؤداها. شأنها في ذلك شأن الدواء إذا تناوله صاحبه عند ظهور الداء، فيسهل علاجه ويشفى صاحبه. ومن الثمرات المباشرة للأخذ بالنصيحة والعمل بها:
*تقوية المناعة التربوية والأخلاقية للأمة وصيانتها من التفسخ والانحلال؛ فلو فرضنا أن مجتمعا ترك فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكيف يمكننا أن نتصور هذا المجتمع وقد فقد أعز صفة وجوده، وبقاء كيانه واستقراره؟ وهب أن مجتمعا غابت عنه

فضيلة الأمانة، وشاعت فيه الخيانة والخداع، فكيف يصبح حاله؟ وكيف يمكن أن يستقر نظامه في ظل هذه الآفات؟ وكيف يمكن أن تؤدى الحقوق إلى أهلها وذويها في مجتمع لم يأمن بعضه بعضا؟ والجواب أنه برسوخ النصيحة في المجتمع تشاع الفضيلة ويستر الفساد، ويردع كل من تسول له نفسه تعاطي المنكر وإشاعته بين الناس.

*وبالتواصي بالحق والخير بين الناس تتحقق معاني الأخوة، لأن النصيحة حق للمسلم على أخيه المسلم قال عليه الصلاة والسلام: «وإذا استنصحك فانصح له»[128]، فهو مرآة له ينظر إلى حاله من خلاله، و «يرى منه ما لا يرى من نفسه، فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه، ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة»[129].

* وبالنصيحة أيضا وقابلية الانصياع لها يحي المجتمع ويسعد، وتفشو المودة والمحبة والخير بين الناس، مما يحافظ على تماسكهم وترابطهم، ويكفل لهم حياة كريمة مستقرة.

*تجنيب القائمين بها التنكيل والعذاب في الدنيا كون وجود الفساد والرذيلة فيهم وإصرار الناس عليها يوجب ذلك قال تعالى: ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾[130]، وقال ﷺ: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[131]، وكذا تخليصهم في الآخرة من الخسران المبين، كيف لا وهي مقتضى أساسي للإيمان به تعالى، قال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[132]

الهوامش:

1 –أخرجه أحمد في مسنده عن تميم الداري: 102/4، مسند: الشاميين، رقم: 16988.

2 –سورة آل عمران: الآية 110.

3 –سورة المائدة: الآية 78–79.

4 –كون معاملة صاحب الزلة ليس كمعاملة المصر على الخطأ والمعصية، ومعاملة الراعي ليس كمعاملة أحد الرعية وهكذا.

5 –انظر: المصباح المنير للفيومي: ص 94. و القاموس المحيط للفيروز آبادي: 301/2.

6 –الأذكار النووية للنووي: ص 7.

7 –سورة البينة: الآية 05.

8 –سبق تخريجه: ص1.

9 –سورة الزمر: الآية 03.

10–قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة الشعراء: الآية106–107–108–109. وقال هود أيضا: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. سورة هود: الآية 51. وكذلك قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة الشعراء: الآيات 143–144–145. وهذا ما أكده لوط عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة الشعراء: الآيات 162–163–164. والكلام نفسه جاء على لسان شعيب عليه السلام حيث قال لمن أرسل إليهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سورة الشعراء: الآيات 178–179–190.

11–سورة الشورى: الآية 23.

12– طالما لم تصلح بها معيشته ولم تستقم بها دنياه.

13- رواه مسلم في صحيحه: 3/ 1513، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم: 1905.

14- رواه البخاري في صحيحه:1 /3، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: 1.

15- سورة التوبة: الآية 105.

16- سورة الرعد: الآية 4.

17- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 13 /116.

18- الموافقات للشاطبي : 193/1.

19- سورة فاطر: الآية 08.

20- سورة آل عمران: الآية 20.

21- سورة النحل: الآية 82.

22- سورة النحل: الآية 125.

23- سورة البقرة: الآية 272.

24- رواه مسلم في صحيحه: 4 /2106، كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم: 2749.

25- سورة النساء: الآية 94.

26- الروح لابن القيم:ص 257 .

27- سورة النحل: الآية 125.

28- سورة البقرة: الآية 83.

29- سورة إبراهيم: الآية 24.

30- رواه مسلم في صحيحه: 4 /2004، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ، رقم: 2594.

31- رواه مسلم في صحيحه : 4 /2003، كتاب: البر والصلة والآداب ، باب: فضل الرفق، رقم: 2593.

32- رواه البخاري في صحيحه: 1104/3، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، رقم: 2873.

33- رواه مسلم في صحيحه: 3 /1358، كتاب: الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم: 1732.

34- سورة يوسف: الآية 92.

35- رواه البيهقي في سننه الكبرى: 9 /118، كتاب: السير، باب: فتح مكة حرسها الله تعالى، رقم: 18054..

36- سورة مريم : الآيات 42-43-44-45.

37- الكشاف للزمخشري: 2 /412.

38- سورة طه: الآية 44.

39- لأن الله أراد بذلك أن يضع طريقة للدعوة أساسها تأدية ما عليهما أي البلاغ والتذكير على أتم صورة وأحسن حال، كي لا يمنح فرعون حجة في عدم قبوله النصيحة وتذكيره بحقيقة أمره ومكانته.

40- سورة التوبة: الآية128..

41- أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة: 1 /91، كتاب: الإيمان، رقم: 100.

42- سورة الأنعام: الآية 90.

43- سورة آل عمران: الآية: 159.

44- رواه البخاري في صحيحه: 5 /2245، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء ، رقم: 5691.

45- رواه البخاري في صحيحه : 1 / 226، كتاب: الأذان، باب: من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، رقم: 602.

46- رواه البخاري في صحيحه: 5 /2242، كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، رقم: 5678.

47- انظر: المبحث الرابع: ص 09.

48- سورة التوبة : الآية 73.

49- سورة الإسراء: الآية 102.

50- أخرجه أبو داود في سننه عن سمرة بن جندب: 2 / 339، كتاب: الأقضية، باب:القضاء، رقم: 3636.
51- سورة يوسف: الآية 108.
52- سورة طه: الآية93..
53- سورة الأعراف: الآية 105.
54- انظر: صحيح البخاري: 1 /38، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، رقم: 68.
55- رواه البخاري في صحيحه: 1 /39، كتاب: العلم، باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، رقم: 70 .
56- فتح الباري لابن حجر:11 / 228، كتاب: كتاب الاستئذان، باب: الموعظة ساعة بعد ساعة.
57- الأحكام السلطانية للماوردي: ص 381.
58- التمهيد لابن عبد البر: 9/ 229 .
59- شرح الزركشي على مختصر الخرقي للزركشي: 2/ 404.
60- رواه البخاري في صحيحه: 2 /544، كتاب: الزكاة ، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، رقم: 1425.
61- رواه البخاري في صحيحه: 2 /573، كتاب: الحج، باب: 573، رقم: 1506.
62- رواه البخاري في صحيحه: 4 /1861، كتاب: التفسير، باب: باب قوله: إذا جاءك المنافقون، رقم: 4622.
63- رواه البخاري في صحيحه: 1 / 18 ، كتاب : الإيمان، باب : من قال إن الإيمان هو العمل، ح: 26.
64- رواه البخاري في صحيحه: 6 / 2740 ، كتاب: التوحيد، باب: وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا، ح:7096.
65- رواه البخاري في صحيحه: 3 / 1026 ، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير، ح: 2632 .
66- الموافقات للشاطبي : 4 /100.
67- سورة يوسف: الآية 108.
68- العي:بكسر العين هو التحير في الكلام قيل: الجهل، وقيل: ضد البيان.انظر لسان العرب لابن منظور: 2 / 950.
69- رواه أبو داود في سننه: 1 / 145 ، كتاب : الطهارة، باب: في المجروح يتيمم ،حديث رقم : 336..
70- انظر: صحيح البخاري: 1/ 28، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم: 52.
71- سورة الحج: الآية 8-9.
72- حيث جاءت في سياق تحريم كثير من المسائل قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.﴾ سورة الأعراف: الآية 33.
73- في ظلال القرآن للسيد قطب: 4/ 2202
74- سورة النحل:الآية 125.
75- رواه البخاري في صحيحه: 6 / 2445، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم: 6257
76- سورة الأحزاب: الآية 05
77- سورة محمد: الآية 36.
78- معالم التنزيل للبغوي: 7 /290.
79- أخرجه الطيالسي في مسنده: 1 /323، مسند: الحسن البصري عن أبي هريرة ﷺ، رقم: 2469
80- أخرجه أحمد في مسنده عن أبي أمامة: 5 / 256، مسند: الأنصار، رقم: 22265.
81- انظر المستدرك للحاكم: 2 / 164، كتاب: قتال أهل البغي و هو آخر الجهاد، رقم: 2656.
82- رواه البخاري في صحيحه عن أنس: 3 / 1377، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الأنصار، رقم: 3567.
83- قال اللخمي: «الصحيح أنه لأبي الأسود»، وقيل غير ذلك. انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي: 8/ 568 .
84- أدب الخواص للوزير المغربي: ص1 .
85- انظر: البيان والتبيين للجاحظ : 1 /135.

86- إحياء علوم الدين للغزالي: 2 / 334.
87- سورة هود: الآية 88.
88- سورة الأنعام: الآية 90.
89- سورة فصلت الآية 33.
90- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: 24 /74-75.
91- رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: 3 /1194، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم: 3101.
92- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : 24 /75.
93- سورة فاطر: الآية 10.
94- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : 22 /80.
95- أخرجه الذهبي في كتابه تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، وقال فيه: «خبر منكر، وسنده مظلم». انظر: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي: 1 /43، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء.
96- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري : 22 /80.
97- سورة الصف: الآية 02.
98- جامع البيان لتفسير القرآن للطبري: 28 /55.
99- سورة الصف: الآية 03. والمقت أشد البغض. انظر: لسان العرب لابن منظور: 3 /511.
100- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني6 /288.
101- رواه البخاري في صحيحه عن أسامة: 3 / 1191، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، رقم: 3094.
102- أخرجه أحمد في مسنده عن أنس: 3 / 180، مسند أنس بن مالك ﷺ، رقم: 12879.
103- رواه مسلم في صحيحه عن جرير: 2 /704، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم: 1017.
104- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: 6 /199، كتاب: الأمراء، باب: ذكر من حديث الأمراء ، رقم: 30643.
105- روضة الناظر لابن قدامة المقدسي: ص241.
106- لسان العرب لابن منظرر: 3 /646.
107- إحياء علوم الدين للغزالي: 2 / 182.
108- أخرجه أحمد في مسنده عن أنس: 3 /198، مسند أنس بن مالك ﷺ، رقم: 13072.
109- رواه البخاري في صحيحه: 1 / 261، كتاب: صفة الصلاة، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، رقم: 717.
110- رواه البخاري في صحيحه عن 2 /981، كتاب: الشروط ، باب: المكاتب وما لا يحل من الشروط، رقم: 2584.
111- أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي موسى: 1 /650، كتاب: الطلاق، رقم: 2017.
112- أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي موسى: 1 /650، كتاب: الطلاق، رقم: 2017.
113- رواه البيهقي في سننه الكبرى: 7 / 206، كتاب: النكاح، باب: نكاح المتعة ، رقم: 13949.
114- رواه مالك في الموطأ: 2 / 743، كتاب: الأقضية، باب: القضاء في أمهات الأولاد، رقم: 1423.
115- رواه البيهقي في سننه الكبرى: 5 / 277، كتاب: البيوع، باب: الأجناس التي ورد النص بجريان الربا فيها، رقم: 10786.
116- رواه البيهقي في سننه الكبرى: 7 /97، كتاب: النكاح، باب: استئذان المملوك والطفل، رقم: 13337.
117- رواه البخاري في صحيحه: 2 /862، كتاب: المظالم، باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، رقم: 2309.
118- رواه مالك في الموطأ: 2 /825، كتاب: الحدود، باب: ما جاء فيمن اعترف على نفسه بالزنى، رقم: 1508.
119- أخرجه أحمد في مسنده: 5 /217، مسند: البصريين رضي الله عنهم، حديث: هزال ﷺ رقم: 21941.
120- رواه البيهقي في سننه الكبرى: 8 /330، كتاب: الأشربة والحد فيها، باب: ما جاء في الاستتار بستر الله، رقم: 17381.
121- رواه البيهقي في سننه الكبرى: 8 /331، كتاب: الأشربة والحد فيها، باب: ما جاء في الستر علىأهل الحدود، رقم: 17387.
122- رواه البخاري في صحيحه: 1 / 14، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: 13.

123- إحياء علوم الدين للغزالي : **2 /182**. ولله در الشافعي حيث أنشد:

تعمدني بنصحك في انفرادي ....وجنبني النصيحة في الجماعة.

فإن النصح بين الناس نوع..........من التوبيخ لا أرض استماعه.

انظر: ديوان الشافعي للشافعي: ص **15**.

124- جامع العلوم والحكم لابن رجب :ص**340**.

125- سورة الحجرات: الآية **12**.

126- سورة النور: الآية **19**.

127- رواه البخاري في صحيحه: **5 /1976**، كتاب: النكاح، باب: لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم: **4849**.

128- رواه مسلم في صحيحه: **4/ 1704**، كتاب: السلام ، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام ، رقم: **2162**.

129- إحياء علوم الدين للغزالي:**2 /182**.

130- سورة الأنفال: الآية **25**

131- رواه أحمد في مسنده عن أبي بكر الصديق ﷺ: **1/ 9**، مسند: أبي بكر الصديق عمررضي الله عنه ، رقم: **53**.